دور العلماء الشناقطة
في الحياة الثقافية بالمملكة العربية السعودية
في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز

د. حماه الله ولد محمد فال ولد السالم
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة نواكشوط

أدت الجاليات الإسلامية المقيمة في المملكة "المجاورون" دورًا استثنائيًا في الحياة الثقافية بفعل شيوع الأمن والسلم في ظل الدولة السعودية لاسيما منذ تأسيسها في عهد الملك عبدالعزيز، ثم عهد الملك سعود رحمهما الله، وهي الوضعية التي ظلت تتحسن باطراد في العهود التالية لهما.

وينبع الربط بين الحياة الفكرية هنا والسلطة السياسية من العلاقة الوثيقة بين السياسي والثقافي، من حيث تأثير الأول في الثاني، لما هو معروف من تأثير أحوال الأمن سلبًا وإيجابًا في حياة المجاورين الذين تنتمي إليهم الشريحة المدروسة من منتجي المعارف العربية - الإسلامية وبعض مستهلكيها من المتلقين طلابًا ومهتمين وعامة.

في هذا البحث سنعرض - بإيجاز - لأولية المجاورين الشناقطة في بلاد الحجاز والملامح العامة لاستقرارهم هناك، ثم نهتم بصلة المجاورين بالدولة السعودية منذ عام ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ) مع التركيز في صلة العلماء بالملك عبدالعزيز ثم بالملك سعود، مع الإشارة

إلى ما بقي في الذاكرة الشنقيطية من كرم الملك سعود واهتمامه بالمجاورين. ثم سينصب الجهد - رغم شح المعطيات - على درس مظاهر صلاتهم بنظرائهم من علماء نجد وغيره من أقاليم المملكة عبر صنوف التأليف والفتوى والتدريس والعطاء العلمي. كل ذلك لاستجلاء ملامح الحياة الفكرية للمجاورين في تلك المرحلة من التاريخ السياسي السعودي، وتقديم شواهد حية على أن الإسهام الشنقيطي كان مهمًا، لا سيما في عهد الملك الراحل؛ مما يدل على تميز تلك المرحلة السياسية وعطائها، انطلاقًا من المنطق التاريخي القاضي بأن الثقافة استهلاك، بل هي تبذير؛ أي: أنها ترف لا يمكن أن ينهض إلا بموارد معقولة لا تتأتى إلا في ظل سلطان جامع يحفظ الأمن ويمكن له.

ونحن هنا سنقصر اهتمامنا على عهد الملك سعود الذي هو على شرطنا في هذا العهد، بالرغم من أن التاريخ الثقافي يقتضي المزاوجة بين التحقيب الوقائعي بالسنين وفق التطور السياسي، والتحقيب المعرفي الذي يرصد الظاهرة الثقافية في مدة أطول: خمسون سنة، قرن... أكثر، ثم يهتم بانعطافات بعينها في ظل سلطة أو مؤسسة.

وما يزال تاريخ الثقافة في البلاد السعودية حقلاً خصبًا للدراسات التاريخية الجديدة للغوص في معطياتها وتصنيفها واستغلالها على النحو المعرفي والمنهجي السليم وفق التطور الحاصل في البحث التاريخي والعلوم المتداخلة معه، كما أنه ينتظر ما يسمى الدراسات المنوغرافية "القطاعية" التي تهتم بظاهرة بعينها أو فضاء ترابي وبشري مستقل مع تطبيق التاريخ الوقائعي بطريقة جزئية. تبعا لطبيعة المواضيع المدروسة التي يقتضي بعضها التحليل "اللوحة" أو التحليل البنيوي، ويطلب البعض الآخر التحليل التطوري أو الوقائعي، أو يكون الموضوع يقتضي استخدام التحليل "اللوحة"

والتحليل "التطور"، وقد يكون من صنف آخر تتم معالجته بالتحليل "الترجمة" أو "المقارن". مع الوعي بخصوصية التاريخ الثقافي وتحقيبه الخاص ومنهاجه المنفتح على "التاريخ الحفري" وغيره من إسهامات ما بعد الحداثة مع الانتباه إلى خصوصية الحقل المدروس وطبيعة الأدوات النظرية المنقولة من مجال معرفي مغاير.

ولا يمكن استجلاء الحضور الشنقيطي في الحياة الثقافية في الحجاز على عهد الملك سعود، إلا بتقديم صورة عن أوّلية قدوم علماء الشناقطة إلى الحجاز، وسياقه الفكري والاجتماعي.

فقبل العهد السعودي وصل إلى الديار المشرقية خلق كثير من علماء ونبهاء بلاد شنقيط(١)، لا سيما في القرنين ١٢-١٣هـ، ويمكن تصنيف أولئك إلى ثلاث طبقات:

- **طبقة الروّاد:** وتشمل كل الذين سبقوا القرن العشرين بعقد أو عقدين ومنهم علماء القرون ١٠-١٢هـ من التنبكتيين والولاتيين، ثم من علماء ولاتة "ولاتا" وشنقيط وتيشيت وتيجكجة وغيرها. وقد كان هم هؤلاء في القرون الأولى الاسترفاد من علم تلك الأمصار المشرقية والمغربية، ثم مالوا على أنفسهم بعد أن ملأ كل منهم وطابه علمًا، واشتغلوا بالتمكين للدرس والتلقي في بلادهم مع دوام الوصل بتلك الأمصار العربية، لكن دورهم هناك كاد يختفي بموت نظرائهم ولعدم استقرارهم في تلك البلاد.

- **طبقة المؤسسين:** ويمثلها محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي وجيله، وقد قامت هذه الطبقة بعبء التمكين للشناقطة

---

(١) بلاد شنقيط: الاسم القديم لموريتانيا الحالية والبلاد الملاصقة لها التي يتكلم أهلها اللهجة العربية المسماة "الحَسّانية"، ويُعرفون في البلاد العربية - ولا سيما المشرقية - باسم "الشناقطة"، وأحيانا الشناقكطة بكاف معقودة. حول هذا الاسم وتاريخه راجع: د. حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م، ص ص ١٨-٣٦.

في الحياة العلمية والأدبية "التراثية" في المشرق، وكانت هي التي صنعت صورة الشناقطة اللماعة والبراقة في تلك الربوع وإلى اليوم؛ ويعود ذلك لاستقرارها فيها، وتعرّفها على أحوالها السياسية والاجتماعية، واتصالها بنبهائها من علماء وساسة.

- **طبقة المهاجرين**: وهي جيل العلماء المتمكنين الذي هاجر عن البلاد بعد تمكن الاستعمار الفرنسي منها، وتراجع المقاومة سنة ١٩٣٤م (١٣٥٣هـ)، وأبرز رجاله أبناء ما يأبى الجكنيون، ولا سيما محمد حبيب الله، ومحمد الخضر، والعالم محمد الأمين بن فال الخير الحسني، والعالم الأصولي محمد عبدالله بن زيدان بن غالي البُصَادِي، والشيخ محمد المجتبى البصادي، والشيخ محمد عبدالله بن آدا البصادي. وقد أحيا هذا الجيل ما اندرس من مآثر طبقة المُؤسّسين، وأبقى جذوة الصِّيتِ الشنقيطي مُتَّقدةً إلى أن تكاملت الجاليات الشنقيطية في الحجاز والسودان وغيرها.

ثم لم يأت بعد ذلك إلا أفراد من العلماء والصلحاء طار صيتهم لكنهم قصروا شأنهم على بلاد الحجاز وحدها وإن قاموا بدور تنوء به الجبال.

وإذا قصرنا الحديث على الطبقة الثانية فنحن ملاقوها أشد تأثيرًا وأعظم خطرًا في الحياة المشرقية وأبقى أثرًا يدرس ونشاطا يُتبع.

والحق أن إسهام الشناقطة "الموريتانيين" في البلاد المشرقية عمومًا والسعودية خصوصًا يتمثل في مسايرة "المثقفين" الشناقطة لتيار الإحياء وبواكير النهضة الأدبية في ثقافة المشرق آنذاك، لكنهم لم يستأنفوا القول في مباحث علمية جديدة، ولكنهم أثروا الساحة الفكرية والأدبية بموضوعات أذكت جدلاً كان خبيًا، وربما أعادت إلى سُوح الثقافة المشرقية من روح "النقد" و"المراجعة" ما بَعُدَ عهدها به، غير أنهم بالمقابل لم يؤثّروا في ثقافة الأمصار التي استقروا فيها

التأثيرَ الذي يُشَاكِلُ ما قام به النهضويون الشاميُّون في مصر مثلاً، لكنهم أسهموا في ألوان الثقافة التي تُشَاكِل زادَهم الذي قدِموا به من قاصيّة ديار الغرب، وكان هذا الإسهام طريفًا مفيدًا، وترك لهم من الشهرة ما لم ينله سلفهم من أصحاب الرحلات، وكانت مساهمتهم المفيدة واللافتة في ميادين حذقوها في بلادهم كالقراءات والفقه المالكي واللغة والسيرة والأدب شعرًا ونثرًا. كما انبهر المشارقة بحفظهم وجلَدهم على استظهار المتون التي يستأنفون درسها لأول مرة. لكن الرواية المحلية - بمبالغاتها المعهودة - ضخّمت من أمر تلك المَلَكة حتى كادت تطمس الوقائع الثابتة عن دور كبار العلماء الشناقطة في التصدر للتدريس والإجازة بالأسانيد العالية، والبراعة في تنقيح متون العلم التي تلمذ لهم أصحابها.

ولا نميل إلى القصة الشائعة التي تقول: إنّ أحمد بن الأمين الشنقيطي - وكان مكث في الحجاز ثم انتقل إلى مصر - أملى كتابه "الوسيط" من حافظته، بل نجزم بأنّه استعان بالنصوص التي ورَدَته عبر المراسلات من نُبهاء موريتانيا من أمثال: السالك بن بابه العلوي، والشيخ سيديا بابا الإنتشائي وأضرابهم، ولعله رجع إلى "كنّاشه" المُمتلئ أشعارًا ومنثورًا للمُتقدِّمين والمُحدَثين من الشناقطة وغيرهم الذي ما يزال محفوظًا لدى أحفاد صديقه الخانجي! ولا يقدح ذلك في قوة حافظة الرّجل لعظِم مرويِّه من الأشعار والأخبار وسعة اطلاعه في الآداب واللغة، كما لا يغضّ من شُهرة الشناقطة بسَعة الرواية وقوة الحافظة؛ لأنها مَلَكاتٌ نَمتها حياة الظعن والبداوة، وسِماتٌ عُرِفوا بها في الخافقين.

وقد درج نقّاد عرب(٢)، وتابعهم في ذلك بعض الموريتانيين المعاصرين على التذكير بخروج الشعر في بلاد شنقيط على ما سُميَّ

---

(٢) الدكتور طه الحاجري: "شنقيط أو موريتانيا حلقة مجهولة من تاريخ الأدب العربي"، العربي، العدد ١٠٧، أكتوبر ١٩٦٧م، ص ص ٢٨-٣٣.

"عـصـر الانحطاط"(٣)، بل يكاد بعضهم(٤) يجزم بسبق شنقيطي "موريتاني" في باب الريادة الشعرية على المُجَدِّدِين المشارقة من أمثال: البارودي وشوقي ومن جاء بعدهما.

ومهما كان حظُّ تلك الفرضية من الصحة وأحقيّتُها من المشروعية، فإننا لا نرى مُدَوّنةَ الشعر الشنقيطيِّ، قديمه وحديثه، بدعاً من مُدوّنات العرب المنسية في بلادٍ كالحلّة في العراق وفي بوادي عمان والحجاز ومخاليف اليمن وغيرها. ولذلك فالخطب جَلَلٌ والمصيبة عَمَمٌ، وليس من راق سوى الصبر على جمع الرَّبائِد الغَميسَة، وتحقيق النصوص المَجهولة، ونشر ذلك كله بين الناس. وبعد ذلك فليكفر من شاء من النَّقَدَةِ أو ليؤمن سواء.

ولا يكفي التعلل بأن تلك المدونات حلقات مفقودة من شعر العرب وآدابهم؛ لأن ذلك غير قادح في تواريخ الأداب العربية المكتوبة في رحاب الأمصار الكبرى، والتي استقرت في أذهان المُتَعلمين ومشى عليها أرباب الدرس وجمهور الكاتبين.

لا يكفي التعلل بأن تلك المدونات حلقات مفقودة من شعر العرب وآدابهم

وأبرز من مثّل تلك الظاهرة، هو العالم محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي (ت ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)، لا يمكن، بدقة، تقصي أخبار جلّ أصحاب العلم والأدب الذين استقروا في مصر والحجاز؛ لضياع أخبارهم وآثارهم، لكن العالم الأديب اللغوى النسابة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي مثل في المشرق شخصية "المثقف

---

(٣) مثل البحاثة المأسوف عليه الدكتور أحمد جمال بن الحسن في أطروحته الشهيرة: الشعر الشنقيطي في القرن ١٣هـ، (طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٤٢٤هـ/١٩٩٥م)، ص ص ٤١٥-٤١٦.

(٤) من أبرز النقاد الموريتانيين القائلين بهذا الرأي الأستاذ سيد أحمد بن الداي: "شنقيط وإسهامها في الإشعاع الروحي والثقافي في المناطق المحيطة بها"، مجلة التنوير، جامعة الزيتونة، العدد الثاني، ٩٤/ ١٩٩٥م، ص ص ١٠٧-١٠٩.

الشنقيطي لعهده؛ وذلك بحافظته الواعية لنوازل الأدب وشوارد اللغة وعويص مشكلات الفقه وأصوله مع صراحة زائدة تميّز أهل بلاده، إلى كثير من السمات التي أضحت عند المشارقة علَمًا على الشناقطة منذ الفترة الحديثة وإلى الأمس القريب. وقد وصل ابن التلاميد إلى المشرق بعد أن تضلع من العلوم السائدة في الدائرة الثقافية الشنقيطية، فقد لازم اللغوى المشهور اجدود بن اكتوشن العلوي الشنقيطي، وعليه تخرج، ورحل إلى المشرق، ومرَّ بابن الأعمش بتيندوف [جنوب غرب الجزائر]، وتلقَّى عليه جُمَلا من الحديث. هذا بالإضافة إلى زاد علميٍّ جمعه ابن التلاميد من مطالعاته الواسعة؛ مما مكنه من أن "ينفرد في المشرق باللغة والأنساب" على حدّ تعبير صاحب الوسيط.

وعلى مستوى الحجاز وصل ابن التلاميد إليه لقضاء فرض الحج سنة ١٢٨٣هـ، ثم قدم المدينة فاتح المحرم سنة ١٢٨٤هـ؛ فتلقَّاه أديبها عبدالجليل براده "بواسطة مكتوب من بعض أبناء عمه في فاس ومصر وجدَّه، بوجه حسن وصدر رحب"(٥). وظل ابن التلاميد يشرح لمضيفه وزوّاره من الأدباء - مدّة مقامه عنده - غوامض أشعار العرب ولغتهم، وكان جهده في التلقين منصبًا على دقة الضبط وصحة الراوية(٦).

وعندما ألَّف ابن التلاميد حاشية على شرح أحد اليمنيين للامية العرب، قرّظها عبدالجليل براده بمكتوب دبّجه في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ، وفيه يقول: إن ابن التلاميد "قد أتى في هذه الحاشية بالعجب العجاب، من التمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب. فإنِّي تصفحتها بالتأمل؛ فوجدت جميع انتقاده على الشارح وإظهار غلطاته، ونقده عليه في سقطاته هو الحق الذي لا غبار عليه (...)،

---

(٥) محمد محمود الشنقيطي: الحماسة السنية، القاهرة، ١٣١٧هـ، ص ١٠٤.

(٦) الحماسة، ص ص ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.

ولعله لو لم يتصدّ هذا الفاضل لردّ هذه الغلطات، وبيان هذه السقطات مع شهرة عاكش اليمني وكِبَر صيته في قومه لظن الأغبياء صحة ما قاله، وتوهّم الجهلاء صدق تلك المقالة، وبقيت تلك الأوهام مزلقة للأنام"(٧).

وسبب تأليف الحاشية المذكورة أن ابن التلاميد كان مقيمًا آنذاك في مكة عند أميرها الشريف عبدالله بن محمد بن عون، "فأكرمه، واختصه، ولبث عنده زمانًا، وكان يعجبه، ويحرش بينه وبين علماء مكة"(٨). وقدم على مكة أديب يمني يسمى: عَاكشًا(٩)، "وألف شرحًا على لامية العرب أهداه للأمير، فطلب الأمير من ابن التلاميد أن يبين أغلاط الشرح؛ فألف حاشية وضح فيها هفوات الشرح وأغلاطه(١٠)، فلم يحصل عاكش على جائزة من الشريف(١١).

---

(٧) نفسه، ص ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٨) ابن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة - نواكشوط، ١٩٨٩م، ص ٣٨١.

(٩) الشيخ الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي الملقب بـ"عاكش": ولد سنة ١٢٢١هـ، وتلقى علومه على ما يزيد على أحد عشر عالمًا من علماء المخلاف السليماني، حتى استوعب ما لديهم من معارف، ثم رحل إلى مكة المكرمة، ودرس على علمائها، ومن ثم عاد إلى وطنه، ثم استزاد على عالم عصره محمد بن علي الشوكاني. ثم استصحبه الأمير الحسين بن علي بن حيدر، واستصحبه إلى زبيد؛ ليباهي به علماءها، ويباري به أدباءها، وبقي عكش في مدينة أبي عريش على رأس مدرسته مع القيام بالإرشاد والإفتاء حتى أدركته الوفاة سنة ١٢٩٠هـ. من مصنفاته: كتاب روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان، وعقد الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر، نزهة الأبصار، استوعب فيه ما في كتاب السيل الجرار لشيخه الشوكاني، وغيرها. راجع ترجمة نادرة له في: الشيخ عبدالرحمن بن أحمد البهكلي: نفح العود في سيرة دولة الشريف حُمُود، تكملة العلامة الشيخ الحسن بن أحمد عاكش، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ محمد بن أحمد العقيلي، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ص ٥٩-٦١.

(١٠) عنون ابن التلاميد ردَّه على عاكش: إحقَاقُ وتَبَرُّؤُ العرب مما أحدثه عَكشُ في لغتهم، مخطوط.

(١١) الوسيط، نفسه.

واستمرت الصلة بين ابن التلاميد وبرّاده وقتا من الزمن كان عبدالجليل يُمطِر فيه الشنقيطيَّ بالمكاتبات والمراسلات، ويمدحه بالقطع الشعرية التى يبيّن فيها أياديه البيضاء على العلم وأهله في الحرمين(١٢) إلى كثير من الثناء عدّه صاحب الوسيط "من المبالغات"(١٣)، ثم حدثت جفوة بين الرجلين بعد أن مال برداه إلى مُعارضي محمد محمود من المدنيين كالبرزنجي والنبيلي...، وقد طمست هذه الصراعات ما كان برداه قد أعلن عنه من الثناء على ابن التلاميد(١٤)؛ ولذلك لم يكن صيته في الحجاز مدويًا كحاله في باقي المواطن المشرقية التي زارها.

لكن ذلك لا يمنع من أن بعض الشهادات العربية النادرة خصته بذكر مُلفتٍ وهو في المدينة التي وصل إليها بعد أداء فرض الحج الأديبُ والفقيهُ التونسيُ الجليل محمد السنوسي، وسمع أخبار الشنقيطي، ثم لقيه في الحرم النبوي، وسامَره في دار براده، وسجَّل السنوسي في رحلته انطباعه عن الرجل وعلمه قائلا: "... حضر عندي في بيتي (بالمدينة) فإذا بالرجل آية الله في حفظ الشعر العربي، والتمكن من اللغة العربية، وحضر معنا مسامرة عند الأفندي عبدالجليل [برداه] أبرق فيها للطائف الشعر ونوادر الأدب بحيث إن محاضرته لا تمل"(١٥).

لكن ابن التلاميد، لم يطب له القرار في المدينة بسبب مكائد خصومه؛ فرحل تحت تهديد محافظ المدينة إلى القاهرة، وفيها استقر إلى أن دفن بها.

---

(١٢) راجع: الحماسة، ص ص ١٠٩ - ١١٠.

(١٣) نفسه، ص ٣٨١.

(١٤) نفسه، ص ٣٨١.

(١٥) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي الشنوفي (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨م)، ج ٣، ص ص ١٧٠-١٧١.

وإذا قارنا حال الحياة الثقافية بالحجاز في ظل الولاة العثمانيين، بحاله في ظل الدولة السعودية، نجد البون شاسعا في كثافة حضور العلماء الشناقطة إلى الحجاز في العهد السعودي، وهي الوضعية التي يصفها بالنسبة للحجاز محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي حين يذكرها في مواضع من قصيدته الطنانة التى يتتبع فيها حياته بالمدينة وصراعه مع بعض خصومه فيها، وأن العلوم قد صوَّحَت بها "لانقراض" أعيان العلماء الذين كانوا يسهرون على العلم تحصيلاً ودرسًا... ولا ينسى ابن التلاميد أن يقارن هذا الوضع بالماضي الزاهر الذي كان عليه مثيله في غابر الأحقاب...

لكن الحال تبدلت مع الحكم السعودي، بفعل أسباب موضوعية، منها الأمن ورخص الأسعار وعناية الحكام بالعلماء.

كان الدافع الأول لحضور العلماء إلى الحجاز وغيره من أصقاع المملكة هو الحج الذي يقررون بعده المقام أو الرحيل، ولكن الغزو الاستعماري الفرنسي جعل من الرحلة شرقًا للحج وغيره واقعًا مفروضًا على من لم يرض بالعيش في ظل الأجنبي.

الهجرة في ظل الاستعمار إلى المشرق

أدّى دخول الاستعمار الفرنسي إلى هجرة مجموعة من كبار شيوخ البلاد وعلمائها نحو الديار المشرقية، واستقر البعض منهم في المغرب الأقصى لأسباب ذاتية وعَمَلِيَّةٍ.

وتحفل كتب التراجم والمناقب بعشرات الأعلام الذين مرّوا بالشيخ ماء العينين(١٦) بمنطقة السمارة في الصحراء الغربية، ثم واصلوا الرحلة حجاجًا أو مهاجرين(١٧).

---

(١٦) راجع: أحمد بن الشمس الحاجي: النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية، (القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٣٣٠هـ)، ٢ج في ١ مجلد، مواضع مختلفة.

(١٧) نفسه، مواضع مختلفة.

لكن أهم هجرة عن "دار الحرب" هي عملية النزوح الكبرى التي نظمتها الطريقة الغُظْفِيَّةِ(١٨) بقيادة مشايخها البُصَادِيِّين من أمثال: الشيخ محمد محمود الملقب بالخلف البُصَادي والشيخ الغَزَوَانِي وغيرهما.

وقد مثَّل خروج ركب المجموعة الغُظْفِيَّةِ أعظم تحدٍّ للسلطة الاستعمارية وأكبر باعث على الهجرة والجهاد؛ فقد خرج ركب يضم ٦٠٠رجل ترافقهم عائلاتهم، من قبائل زاوية معروفة مثل: قبيلة البُصَادِيِّين (ذوي بُصَاد) التي ينتمي إليها قادة الطريقة والركب، القلاقمة، تاكّاط،... وكان الركب بقيادة الشيخ محمد الأمين بن زيني القلقمي وكان تلميذا للشيخ البُصَادي(١٩).

وقد انطلق الركب من بلاد الحوض في شرقي البلاد سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) مارًّا عبر الصحراء صوب ليبيا ثم الأردن وتركيا(٢٠).

وتذكُر المصادر الليبية(٢١) أن: "الشيخ الشريف محمد الأمين الشنقيطي قدم إلى سبها من موريتانيا سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ)

---

(١٨) الغُظفِيَّة: وتُعرف أيضا باسم الأغظفية. طريقة شاذلية تنسب للشيخ محمد الأغظف الداودي توفي نهاية ق١٢هـ، وهو من أعلام بلاد الحوض من شرقي البلاد، ثم انتقلت منه إلى الشيخ الطالب أعمر بن نوح البُصادي، ومنه إلى المشايخ البصاديين الآخرين، من أمثال: الطالب بن خليل البصادي، الشيخ محمد محمود الخلف البصادي (ت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)، الشيخ الغزواني البصادي، الشيخ محمد بن عبدالقادر البصادي، ومنهم إلى شيوخ أجلاء لآخرين من أمثال: محمد محمود بن بيه المسومي، الشيخ المحفوظ بن بيه المسومي، الشيخ عالي بن آفا التواجيوي، وغيرهم من الصلحاء في بلاد الحوض وبلاد الرقيبة وبلاد تكانت وغيرها من أقاليم الشرق الموريتاني.

راجع: حماه الله ولد السالم: تحقيق ودراسة الرسالة الغلاوية للشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي (ت ١٢٤٢هـ)، مصدر سابق، "الفصل الخاص بالطريقة الأغظفية".

محمد عبدالله ولد عبدالله: القول النصوح في معرفة أخبار أهل نوح، مرقون. ابن الهادي: موريتانيا عبر العصور، مواضع مختلفة.

(١٩) النحوي: مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٢٠) نفسه.

(٢١) أحمد الدردير بن محمد العالم الحضيري: المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان، خلال الفترة ما بين القرن التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين. قام بتحقيقه والتقديم له أبو بكر عثمان أبو بكر القاضي الحضيري (طرابلس: د.ن، ١٩٩٦م)، ص ص ١٣-١٤.

بصحبة عدد كبير من التلاميذ، وعند مقدمه إلى سبها استقبله سكان بلدة الجديد بالابتهاج والترحاب، فآووه وبجّلوه وأكرموه وأقام في ضيافتهم مدة من الزمن.

... كان رحمه الله شيخًا وقورًا وعالمًا جليلاً...، ومن طريقته أنه كان ينفِّر الناس من شرب الدخان، وينصحهم بعدم الأكل مع من يتناولها، له مؤلفات أغلبها في التصوف والوعظ والإرشاد على شكل نظم... وفي السنة التالية من مقدمه - أي سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) - التحق بالجهاد مع الليبيين، وشارك معهم في معارك سواني بن يادم، وقد اشترك برأيه في خطة حركة تسيير الجهاد، وكان يرى أن لابد من تأسيس بيت مال لصالح الجهاد إذا ما أريد الصمود والاستمرارية ضد العدو، ولما لم يعمل برأيه سافر إلى تركيا هو وبعض من أتباعه... واستقروا بها بمنطقة [أوضنة قوزان]... توفي رحمه الله سنة ١٩٤٩م (١٣٦٨هـ) بتركيا، ودفن بنفس المنطقة...".

ومن الأعلام الذين هاجروا إلى المشرق العربي واندمجوا في جوّ الإصلاح والنهضة العربية، في الجزيرة العربية والعراق وغيرهما، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة من كبار العلماء مرتبين حسب تواريخ وفياتهم، وكان لهم حضور معرفي في ظل الدولة السعودية في عهد الملك سعود:

١ - **محمد الأمين بن فال الخير الحسني** (ت ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وقد تعرَّف الشنقيطي على كبار النهضويين، مثل: الشيخ حافظ وهبة، والثعالبي وغيرهما. وقد أدّى موقف الشنقيطي من قضايا الصراع الإنجليزي - العثماني إلى ترحيله من الكويت، بل والمطالبة بتسليمه إلى الإنجليز عندما حلّ ببلاط الملك عبدالعزيز، لكن الملك رفض ذلك رفضا قاطعا(٢٢).

---

(٢٢) نفسه، ص ١٤٦.

٢ - **محمد عبدالله بن زيدان بن غالي البُصَادِي** (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)[٢٣]: من كبار علماء عصره في اللغة والأصول ومن قادة التيار الإصلاحي في فترة الجدل بشأن الاستعمار الفرنسي للبلاد.

درَس في مدارس قبيلته البُصَادِيِّين في شرقي البلاد لا سيما في بيت جدّه العالم اللغوي المشهور غَالي بن المختار فال البُصَادِي (ت١٢٤٠هـ)[٢٤]، وجال في غيرها من الأصقاع للتلقي عن كبار علماء القبائل الأخرى. اتصل بالمجاهد الكبير العالم الشيخ ماء العينين مدة[٢٥]، ثم رحل إلى الحجاز مارًّا بالقاهرة، وفيها اتصل بنخبة العلم والنهضة، وكان ألقى أمام منتدى عريض من العلماء يرأسهم شيخ الجامع الأزهر، قصيدته النهضوية الشهيرة التي يعبّر فيها آلام الأمة وأحزانها في ظل الاستعمار والجهل والتخلف، ومطلعها[٢٦]:

بطيبة أطلال عفون دوَارِسُ   تلايَلَهَا بيضٌ وسودُ حنَادِسُ

---

[٢٣] (٢٣) ترجمته في: ابن حامد: موسوعة حياة موريتانيا، جزء خاص بقبيلة البصاديين "دوبسات"، محفوظ في دار الثقافة، نواكشوط. وفي: المصطفى بن الإمام العلوي: تنوير قلوب المؤمنين (جدة: د.ت)، وأحمد بن الشمس الحاجي: النفحة الأحمدية، ج ٢ ص ٨٧.

[٢٤] (٢٤) غالي بن المختار فال بن أحمد تلمود بن أحمد نَايَ البُصَادِي (ت ١٢٤٠/١٨٢٤م): عالم لغوي ضليع وشاعر مفلق ونسابة خبير ينتمي إلى بيت سيادة وعلم من قبيلته البصاديين (والنسبة إليهم بُصَادي). وُلد ونشأ في الرقيبة من الشرق الموريتاني. درس على المختار بن بونه الجكني وغيره. زامل أعلامًا من أهل عصره، مثل: حرمه بن عبدالجليل العلوي وصالح بن عبدالوهاب الناصري. له مصنفات في اللغة والسيرة النبوية، منها: شرح ضخم على لامية الأفعال، ونظم للبعوث اسمه: وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل، والابتهاج في ذكر الأزواج وغيرها من التصانيف. له ديوان شعر أكثره ضائع. راجع: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط: ص٣٧٥، ابن الهادي، موريتانيا عبر العصور: ص ص١٢٧-١٢٨. ابن حامد، حياة موريتانيا: الجزء الخاص بقبيلة دوبسات (مرقون).

[٢٥] (٢٥) أحمد بن الشمس الحاجي: مصدر سابق، ج، ٢ ص ٨٧.

[٢٦] (٢٦) راجع: ابن حامد: جزء قبيلة البصاديين، ص١ وما يليها.

ومنها:

منازلُ أقوامٍ تساهمَ أهلها   سِهام المنايا والخطوب الدّحامس
وقامت بنصر الله أنصار دينه   وبِيعت من الله النفوس النفائس
مجرّ أبي يكسوم جيشًا عرمرَمًا   ليهدم بيتَ الله واللهُ حارِسُ

وتتبع في القصيدة حال الأمة وتكالب الأعداء عليها، واستنهض العلماء والمفكرين والساسة لمقاومة عوامل الضعف.

وفي مكة المكرمة تولّى درس الأصول فحاز الإعجاب من المُجَاوِرين ومن الوافدين من بلاده، حيث قال عنه عبدالقادر بن سعيد تلميذُ المصطفى بن الإمام العلوي معرّفًا بشيخه العلوي ودراسته في الحجاز: "وافق بمكة حافظ زمانه وفريد أقرانه الشيخ محمد عبدالله بن زيدان بن غالي بن المختار فال بن أحمد تلمود البصادي الشنقيطي فأقام بمكة عام ١٣٤٩هـ لأجل تكرار نشر البُنُود على هذا البحر الزاخر والاستفادة من سائر علومه"(٢٧). كان موقفه من الاستعمار قريبا من مواقف علماء الإصلاح الآخرين كالشيخ سعد أبيه والشيخ سيديا بابا، وقد بسط رأيه في فتواه الشهيرة: تحريم نهب أموال المعاهدين للنصارى(٢٨). كما كانت له قصة مشهورة مع بعض علماء نجد الكبار أيام الملك عبدالعزيز.

٣ - **محمد حبيب الله بن ما يَأبَى الجَكَنِيُّ** (ت ١٣٧١هـ/١٩٥١م)(٢٩): ولد في بلاد الحوض من الشرق الموريتاني الحالي. تلقى العلم عن كبار العلماء من بني عمومته الجكنيين ومن القبائل الأخرى كاللمتونيين وغيرهم(٣٠). وقف من الاستعمار موقف الرفض بقلمه

---

(٢٧) المصطفى بن الإمام العلوي: تنوير...، ص ١١١.

(٢٨) قيد التحقيق من قبلنا.

(٢٩) إزيد بيه: مرجع سابق، ص٢٦٠.

(٣٠) ابن حامد: جزء قبيلة تجكانت ص ٨٠، نقلا عن: إزيد بيه، نفسه، ص٢٦٠.

ولسانه وحضَّ أهل البلاد على الجهاد أو الهجرة(٣١)، وكان أن اختار هو نفسه الهجرة مُكرها - بفعل ممارسات الاستعمار الفرنسي - فرحل مع أخيه العالم المشهور محمد الخضر بن مايأبى الجكني، وحل بالمغرب، وربطته صلة مودة بالسلطان مولاي عبدالحفيظ بن الحسن الأول، وأقام محمد حبيب الله مدة بطنجة، ثم رحل إلى الحجاز قبل أن ينتقل سنة ١٣٤٤هـ إلى القاهرة مقيمًا على نحو دائم(٣٢).

وكانت له أيضا مناظرته المشهورة مع ابن بليهد والعلماء بمجلس الملك سعود، ورغم موجدة الملك عليه، فقد طلب منه الرحيل مع مكرمة وعون وتسهيلات عدة، فرحل إلى مصر.

وفي القاهرة عرف علماء مصر فضله، وقدّموه للتدريس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف وبمسجد الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واستمر في هذه الخطة إلى وفاته بتلك البلاد(٣٣).

ويصعب القول: إن من جاؤوا بعد هذا الجيل ومن قبله، كانوا مثله في الرتبة العلمية وذيوع الصيت، لكنهم سَيُفيدون من صيت الشناقطة المتقدّمين بل إن منهم علماءَ أسدوا من جديد في المباحث التي طرقها سلفهم وأناروا.

وفي الخمسينيات وما تلاها نشطت حركة هجرة جديدة نحو المشرق ولا سيما البلاد السعودية، كانت محط تقدير من أهل تلك البلاد وتنويه من قبل الكتاب المشارقة.

يقول الكاتب اللبناني محمد يوسف مُقلِد(٣٤): "لما تغيّر وضع

---

(٣١) إزيد بيه: نفسه.

(٣٢) نفسه، ٢٦٠-٢٦١.

(٣٣) نفسه.

(٣٤) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، عرضٌ عام لتاريخهم وآثارهم ونصوص من شعرهم، شُعَلٌ أدبية أفريقية مغمورة وبعث تراثي يعرف لأول مرة في المشرق، (الدار البيضاء: منشورات مكتبة الوحدة العربية، طبع في بيروت، ١٩٦٢م)، ص ص ٥٨-٥٩.

الحجاز السياسي في مطلع القرن الحالي، وأصبحت البلاد تعرف باسم "المملكة العربية السعودية" بدأت حركة الهجرة إليها من موريتانيا تتسع رويدا رويدا، وازدادت هذه الحركة نموا عندما تطورت وسائل السفر، و انتقلت من الجمل إلى السيارة، ثم إلى الطيارة [...] كانت أوسع هجرة موريتانية إلى السعودية في الربع الأخير من القرن الحالي، حين بدأت المملكة تشعر بحاجة إلى الإفادة من وجود (جالية) عربية أفريقية كالشناقطة، وخصوصا وأن معظم أفرادها أهل ثقافة إسلامية ولغة وأدب، ففسحت لهم المجال في دوائرها، والتحصيل في معاهدها، كذلك سهلت للراغبين منهم الحصول على الجنسية المحلية، إذ اصطفتهم على غيرهم من الرعايا العرب لأكثر من سبب.. ولعل في رأس الأسباب أنها وجدتهم عنصر خير وسلام وإسلام، وأن "مطامحهم" مأمونة العواقب... أضف إلى ذلك شدة تمسكهم بدينهم وعروبتهم تمسكا لا يضاهيهم به أصح الناس دينا وعروبة في المشرق".

ومن أشهر هؤلاء الموريتانيين:

١- **محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي** (ت ١٩٧٤م/ ١٣٩٤هـ)(٣٥): وهو علّامة نحرير، رحل برسم الحج واحتفى به أمراء وعلماء البلاد السعودية؛ فاستقر مدرسا ومرشدا بتلك البلاد إلى وفاته.

٢- **أحمد بن الشمس الحاجّي** (ت ١٣٤٢هـ): عالم فقيه من خُلّص تلاميذ الشيخ ماء العينين، رحل إلى الحجاز عبر المغرب بحراً، عرضُ جانب من و ثائق المخزن التي أوصى فيها الملك نائبه في موانئ الشمالٍ بتيسير حج ابن الشمس وتلاميذه وخدمه. وفي الحجاز استقر ابن الشمس مدرسا ومربيًا، وظلت صلاته وطيدة بالبلاد

---

(٣٥) راجع: النحوي: مرجع سابق، ملحق التراجم.

الموريتانية من خلال المراسلات مع نظرائه من العلماء ومع ذويه من بطون قبيلة إدو لحاج القاطنة في غرب البلاد. ترك مصنفات جليلة، وبقي له صيت حسن كبير بين الشناقطة المجاورين الذين أفادوا من الالتحاق بقافلته التي كانت تنتقل بين مكة والمدينة آمنة من هجمات الأعراب(٣٦).

٣- **الشيخ محمد المُجتَبَى البُصَادِي** (ت ١٩٥٨م/ ١٣٨٧هـ)(٣٧): من كبار الذين جاهدوا مع خلفاء الشيخ ماي العينين في الصحراء(٣٨)، وقاد هو نفسه حملات جهادية في جنوب المغرب ضد الجيوش الاستعمارية الفرنسية، ثم انتقل إلى بلاده قبل أن يمكث مدة في بلاد الحوض بين قبيلته البُصاديين، ثم رحل مع مئات من تلاميذه إلى الحجاز، وبه استقر إلى أن توفي به، وكان له دور كبير في توطيد الوجود الديني الاقتصادي والاجتماعي للجالية الموريتانية (الشنقيطية). وبقي لابنه الشيخ خطري بن محمد المجتبى حضور مهم في الجالية الموريتانية هناك، وهو عالم أديب جمعته صلة مودة ومراسلة مع الكاتب اللبناني يوسف مقلد الذي قدم صورته مع قطعة من شعره في صدر كتابه المشهور "شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون"، وكذا الحال بالنسبة للسيدة الأديبة الفاضلة ميمونة بنت الشيخ محمد المجتبى البُصَادي التي قدّم يوسف مُقلِد قطعًا من مراسلاتها وكتاباتها بوصفها نموذجًا للمرأة الموريتانية المتعلمة والطموحة(٣٩).

---

(٣٦) حول ترجمة ابن الشمس: راجع: الطالب أخيار بن مامينا، الشيخ ماء العينين: أمراء وعلماء في مواجهة الاستعمار الفرنسي، منشورات مؤسسة مربيه ربه، الرباط، ٢٠٠٣م. وانظر أيضا: فاطمة بنت أوَّ: تحقيق ودراسة نبذة في أنساب إدولحاج للعلامة المختار بن بلول، رسالة الإجازة في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب، ١٩٩٧-١٩٩٨م.

(٣٧) راجع: الطالب أخيار بن مامينا: الشيخ ماء العينين...، مرجع سابق، نفسه.

(٣٨) نفسه.

(٣٩) مقلد: شعراء...، مرجع سابق، صفحة الرسائل المصورة من المقدمة.

تقول زينب بنت المجتبى في رسالتها تهنئ مقلد على كتابه الذي سيصدر آنذاك موريتانيا الحديثة وأرفقت معها هدية من الشاي الأخضر رمزًا للمودة، ما نصه: "حضرة صاحب السيادة محمد يوسف مقلد حفظه الباري آمين... أيها السيد فكم روي لنا من أحاديث فضائلك الصحاح، وتلي علينا من آيات فضائلك الحسان ما أشخص إليك القلوب من قبل قوالبها وأوفد عليك الأرواح قبل أشباحها...، وهذه مساهمتي؛ لكي تسهر على نقل الكتاب الذي ستكون فيه حياة العرب وعزّهم"(٤٠)، ولعلها أهم رسالة نثرية حديثة لكاتبة موريتانية في القرن الماضي.

٤ - **محمد عبدالله بن آدّه البُصَادِي** (ت ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ)(٤١): داعية أخلاق تخرج في بلاد شنقيط "موريتانيا" على يد الشيخ التراد بن العباس، وقطن في بلدة "أبو مديد" وجعلها مركزًا لمريديه وأتباعه، واستطاع أن يجعل منها مركزًا إنتاجيًا منقطع النظير. رحل للمشرق سنة ١٩٦١م (١٣٨١هـ) بعد خلاف مع الحكومة الموريتانية، وكان انتقاله يومًا مشهودًا، وفي مقامه بالحجاز وطد مكانته الدينية والاقتصادية؛ مما ساعد المجاورين على الاستقرار. وقد تلقى عناية من الملك سعود وأمراء البلاد.

وتكشف الكتابات الأولى من الموريتانيين المقيمين بالمشرق، حجازًا ومصر، إلى الكتاب العرب، عن مدى المرارة التي يعيشونها بسبب ما يلقونه من جهل المشارقة بهذه القطعة من الوطن العربي ومدى العرفان بالجميل للكتاب العرب القلائل الذين انبروا للتعريف بموريتانيا العربية ومنهم محمد يوسف مُقلِد مثلا.

يقول كاتب موريتاني مقيم بالحجاز في هذا الشأن(٤٢): "أخبركم أني تعبت من تعريف بلادنا لدى جرائد الشرق، وليست لدي

---

(٤٠) مقلد: نفسه، ص٧.

(٤١) راجع: النحوي، مرجع سابق: باب التراجم.

(٤٢) مقلد: شعراء، ص ١٢.

معلومات جديدة سوى ما أنقله من مجلة العلوم اللبنانية التي يكتب فيها كاتبنا صاحب الفضل الأول السيد محمد يوسف مقلد، وكان لكتابته فضل كبير من عدة مواضيع...، وتطالبني جريدة اليمامة والندوة وجميع (جرائد) البلاد السعودية بالكتابة عن موريتانيا".

عهد الملك سعود: ١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣-١٩٦٤م

أولا: محدّدات أوّليّة

السمة الأساسية لعهد الملك سعود هي الاهتمام بالمشاعر المقدسة بناءً وتجديدًا وتوسيعًا وعنايةً ودعمًا ومعونةً للحاج والمعتمر والمجاور(٤٣).

السمة الأساسية لعهد الملك سعود هي الاهتمام بالمشاعر المقدسة

وقد كان الملك عبدالعزيز قد أعفى حجاج الشناقطة من رسوم الحج؛ مراعاة للاستعمار وبعد الدار، ثم استمرت الحال بلا تغيير في عهد الملك سعود.

وقد جاء الكثير من علماء الشناقطة في عهد الملك سعود هربًا من الاستعمار الفرنسي لموريتانيا منذ بداية القرن أو في عهد الملك سعود مباشرة، وأفادوا من المرسوم الذي يقضي بتجنيس الشناقطة استمر من عهد الملك عبدالعزيز إلى عهد الملك سعود(٤٤).

ولم يكن هناك في ظل الدولة السعودية عمومًا، ولا في عهد الملك سعود، حمل أهل العلم من المجاورين على مذهب بعينه أو مدرسة بذاتها، باستثناء التزام المنطلقات الشرعية الجامعة عقيدةً وسلوكًا؛ ولذلك نشط المدرسون والفقهاء في الدرس والتأليف والمناظرة بلا تقييد ولا حدود، إلا الضوابط المعتمدة شرعا.

---

(٤٣) دارة الملك عبد العزيز: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٤٤) راجع: بحيدة بن يربان: أعلام الشناقطة في الحجاز، مرقون، مواضع مختلفة.

بعض أعلام العلماء الشناقطة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز

رغم شح المعطيات التاريخية، فإن أشهر من تميّز من علماء الشناقطة في ظل الملك سعود:

١ - **أحمد بن المنجي** (ت ١٤٠٠هـ): حج سنة ١٣٣٨هـ، ومرّ بمواضع عدة من بلاد شنقيط والجزائر، ثم استقر به المقام بالحجاز أواخر سنة ١٣٤١هـ؛ فأدى مناسكه، وجاور بمكة المكرمة، وتولى التدريس والإفتاء على المذهب المالكي في حرمها الشريف.

ولما آل الحكم في الحجاز إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود استدعاه واتخذه إماما له لمدة سبع سنوات، واصطحبه معه إلى الرياض؛ فتوطدت علاقته بالأسرة المالكة، وكانوا يتعاهدونه بالرعاية، ولا يردون له طلبًا(٤٥).

عاش في ظل الملك سعود بن عبدالعزيز، وأفاد من عناية الملك بالمجاورين لا سيما العلماء والدعاة والأعيان.

كان مدار نشاطه العلمي - آخر عهد الملك سعود - الخطابة والفتوى والتدريس والإمامة بين مساجد عدة في مكة والطائف وغيرهما(٤٦).

واستمرت به الحال على ذلك إلى أيام الملك فيصل الذي كان لا يرد طلبا للعالم المنجّي بل ثبته في الإمامة بالطائف بعد أن أراد قوم نزعها منه(٤٧).

٢ - **إبراهيم بن محمد المصطفى الميجني**: حج سنة ١٣٦٨هـ، وجلس بمكة سنة كاملة صحب خلالها الشيخ حسن ابن سعيد

---

(٤٥) المرجع نفسه، ص ص١٧٢-١٧٣.

(٤٦) نفسه.

(٤٧) راجع: مقابلة مع ولد المنجي عند الطالب خيار، وانظر: بحيدة: ص ص ١٧٢-١٧٣.

اليماني المدرس بالمسجد الحرام وأجازه في الحديث الشريف، وحضر بعض الدروس الفقهية للشيخ علوي عباس المالكي(٤٨).

٣ - **إبراهيم بن الصغير التنواجيوي** (ت ١٣٩٧هـ): ولد ببلاد الحوض من شرقي موريتانيا، ودرس على كبار علماء ولاتة بالشرق الموريتاني، وتبحر في علوم القرآن واللغة والفقه، وقد هاجر عن حكم النصارى في أواخر سنة ١٣٧٥هـ، وجعل من بيته كرسيا للتدريس، وتولى أمانة مكتبة وقف أحمد مظهر، وقويت رابطته بعلماء المدينة، ولا سيما الشيخ محمد الحسن بن سيد القلقمي(٤٩).

٤ - **أحمد خونا بن خطار الجكني** (ت ١٤١٤هـ): دخل مكة معتمرًا بداية سنة ١٣٦٣هـ، وزار المدينة المنورة، ولزم الحلقة المنتظمة في منزل الشيخ محمد الخضر بن ما يأبى الجكني، حيث درس فيها الصحيحين وكتب السنن والفقه والنحو وأخذ تفسير القرآن عن الشيخ محمد الأمين الجكني صاحب أضواء البيان، وجالس الشيخ محمد علي المالكي محشّي كتاب الفروق للقرافي.

وفي سنة ١٣٦٣هـ عيّن مديرًا لمدرسة بدر، ومكث فيها ثلاث سنوات، ثم عين أمينًا من أمناء مكتبة عارف حكمت لمدة عشرين سنة إلى أن أحيل إلى التقاعد بكامل راتبه بتعميم من الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود(٥٠).

وكان جهده منصبًا على تفقيه العوام وتبصيرهم بأمور الدين، ويلقنهم مختصرات الأخضري وابن عاشر وأسهل المسالك في مذهب الإمام مالك.

وقد توثقت صلته بمشايخ الحجاز كالسيد علوي عباس المالكي والشيخ محمد نور سيف والشيخ حسن المشاط والسيد أمين كتبي

---

(٤٨) بحيدة: مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٤٩) نفسه، ص ١٥١.

(٥٠) نفسه، ص ص ١٧٨-١٧٩.

وغيرهم، وتوطدت صلته بأسرة آل مبارك المشهورة في الأحساء كالشيخ محمد بن إبراهيم آل مبارك صاحب التعليق الحاوي لما أغفله الشيخ الصاوي في الشرح الصغير على أقرب المسالك(٥١).

٥ - **أحمد فال بن سيد المختار الكنتي** (ت ١٣٩٥هـ): وصل مكة المكرمة حوالي سنة ١٣٦٦هـ؛ فأدى فريضة الحج، وزار المدينة المنورة، واستقر بها لطلب العلم. ثم اتصل بالملك عبدالعزيز وبابنه الملك سعود؛ فأحسنا وفادته وقويت علاقته بهما، فكان يشارك في سباق الخليل الذي يحضرانه في مدينة الطائف(٥٢).

٦ - **حسن محمد محمود آل عبد الحميد العلوي** (ت ١٤١٢هـ): ولد بالمدينة سنة ١٣٣١هـ، ثم انتقل إلى الرياض، وعُيّن أستاذًا بالمدرسة العزيزية إبان تأسيسها، وقام بفتح أول مكتبة تجارية في مدينة الرياض حوالي سنة ١٣٦٨هـ عرفت بمكتبة الشنقيطي للطبع والنشر، أسهمت في إثراء النهضة الأدبية التي عرفتها بلاد نجد في السبعينيات من القرن الرابع عشر الهجري. ومن ثم توظف في أمانة منطقة الرياض، وتدرج في مناصبها حتى أصبح مديرًا لبلديتها.

ولما أنشأت الأمانة أول مكتبة عامة في حي الملز بأمر من الملك سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م عُيّن أول مدير لها إلى أن سُلمت لوزارة المعارف، فتحول إلى الوزارة نفسها، وعمل في قسم الإحصاء والبحوث إلى أن استقال منها سنة ١٣٨٤هـ(٥٣).

٧ - **محمد الأمين بن محمد المختار الجكني** (ت١٣٩٣هـ)(٥٤): صاحب تفسير "أضواء البيان" المشهور، وصل إلى الحجاز أواخر ذي

---

(٥١) نفسه، ص١٧٩.

(٥٢) نفسه، ص١٨٠.

(٥٣) نفسه، ص ص١٩١-١٩٢.

(٥٤) راجع ترجمة موسعة له: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص٢٢٣.

القعدة من سنة ١٣٦٧هـ، وسبب جواره سرور واطمئنان حصل له بعد مقابلته للأميرين تركي السديري وخالد السديري أميري أبها وتبوك آنذاك.

خصصت له حلقة بالمسجد النبوي الشريف بأمر من الملك عبدالعزيز إلى جانب تدريسه بدار العلوم بالمدينة المنورة عامي ١٣٦٩-١٣٧٠هـ، واختير ضمن نخبة من العلماء للتدريس في معهد الرياض العلمي وكليتي الشريعة واللغة العربية بعد ذلك. وقضى عشر سنوات، بعضها في ظل الملك سعود، في المنطقة الوسطى متنقلا بين الحلقات العلمية في مسجد الشيخ محمد وفي بيته وفي الكليات النظامية، فكان لتلك الحركة العلمية الرائدة مشاركة فاعلة في قيام النهضة التعليمية الحديثة التي تمهدت في تلك الفترة(٥٥).

وكان الشيخ محمد الأمين موضع تقدير خاص من الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - والشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف.

وكانت للشيخ محمد الأمين الشنقيطي صلات خاصة بالملك سعود، وأبلغه مرة بآراء العلماء في بعض الأمور السياسية المهمة، ومنها موضوع تولي الحكم من قبل الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله(٥٦).

ومن أبرز تلاميذه في المملكة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان والشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبدالله بن غديان والشيخ عبدالمحسن العباد والشيخ الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد والشيخ الدكتور عبدالعزيز القاري(٥٧).

٨ - **محمد المختار بن أحمد مزيد الجكني** (ت ١٤٠٥هـ): اختير للتدريس في المعهد العلمي في الرياض إبان افتتاحه سنة ١٣٧١هـ إلى ١٣٧٨هـ(٥٨).

---

(٥٥) بن يربان: مرجع سابق: ص٢٢٣.

(٥٦) نفسه.

(٥٧) نفسه، ص٢٢٥.

(٥٨) نفسه، ص ٢٥٦.

٩ - محمد مكي بن أحمد الهادي اللمتوني (ت ١٣٩٨هـ): كان مجاورًا بالمدينة منذ ١٣٣٠هـ، رحل إلى اليمن ثم عاد إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٥هـ بعدما أصدر الملك سعود نداءه إلى المهاجرين بالعودة إلى بلادهم؛ ليسهموا في بنائها ونهضتها(٥٩).

١٠ - عمر بن السالك بن محمد السويدات الحاجي (ت ١٣٨٨هـ): حج سنة ١٣٢١هـ، وكان خروجه من البلاد الموريتانية "الشنقيطية" قبل استعمارها بسنة.

من كبار العلماء الشناقطة الذين أفادوا بالعلوم العربية الإسلامية في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، فقد جاور الشيخ عمر الشنقيطي بالمدينة مدرسًا وواعظًا في الحرم النبوي حوالي سنة ١٣٣٠هـ. فكان درسه بعد صلاة الفجر في التفسير وبعد الظهر في البلاغة، وبعد المغرب في الفقه، وبعد العشاء في كتب السنة. كان مالكي المذهب مع ميول إلى ظاهرية ابن حزم. وقد نُوقش في ذلك، وجرت بينه مناظرات مع العلماء من الشناقطة وغيرهم، فلم يزده ذلك إلا تمسكًا برأيه، ثم رغب عن التمذهب في أواخر حياته، واكتفى بالتمسك بنص الآية والحديث(٦٠).

أخذ عنه جماعة منهم الشيخ المحدث عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي والشيخ محمد المختار بن أحمد مزيد الجكني والشيخ عمر بن محمد الفلاتي، وهم من مدرسي المسجد النبوي الشريف، والشيخ محمد الحسن بن محمد المبارك بن سيد القلقمي والشيخ صالح محمد كمال الدين الأخميمي والشيخ محمد عبدالله بن ضياء الدين الجكني(٦١).

---

(٥٩) محمد بن علي المغربي: نفس الرحمن، ص ٢٠٤.

(٦٠) بحيدة، ص٣٢١.

(٦١) نفسه، ص٣٢٢.

١١- **سيد محمد الملقب عبدوت بن أحمد الأسود الشنقيطي**: كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان يغبطه على معارفه ويجله، وكان محل ثقة كبار علماء وأعيان المملكة. وكان ممن يوكل إليهم وزير المالية القوامة على توزيع العطايات والهبات في عهد الملك سعود(٦٢).

ثالثًا: الصلات بين العلماء الشناقطة والسعوديين

كانت الصلة بين العلماء الشناقطة ونظرائهم في الحجاز قديمًا تتراوح بين التلقي أو المساجلة أو الإفادة والتعاضد، والذي استجد مع الدولة السعودية هو أن الإنتاج المعرفي صار في ظل سلطة مركزية تضرب على أيدي المفسدين، وتؤمن بلغة العيش الكريم للعلماء، وتنظم الخطط الدينية، كما توفر وحدة مذهبية عامة؛ ولذلك فالتاريخ الثقافي للجزيرة العربية في ظل الدولة السعودية مرتبط بالدولة المركزية، ولم يعد نتاج مجتمع أهلي مقطوع بالسلطة يعاني الجوائح والأوبئة والنهب والخوف، وتواضع الإطار المؤسسي لإنتاج المعرفة وتدولها.

هناك صلات معرفية أفقية بين العلماء الشناقطة ونظرائهم في بلاد الحجاز ونجد وغيرها من أصقاع جزيرة العرب في ظل الدولة السعودية، وهناك صلات عمودية رأسية بين العلماء الشناقطة وكبار علماء الدولة السعودية من كبار المفتين والمدرسين والأعيان.

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، حلقة العالم الشنقيطي محمد عبدالله بن محمد بن آدّو الجكني الذي انهال إليه طلاب الحديث، واهتبلوا بأسانيده العالية، ووقعت بينه وبين قاضي عنيزة مراسلات أخوية دامت سنين طويلة أهداه خلالها بعض مؤلفاته القيمة(٦٣).

---

(٦٢) نفسه، ص٣٢٨.

(٦٣) راجع: بحيدة بن يربان: مرجع سابق، ص٢٧٦.

ومن أعيان الأسر الجليلة التي كان لبعض العلماء الشناقطة صلة وثيقة بها: آل الشيخ، آل المشاط، آل نصيف، آل البسام، آل المبارك، وغيرها من الأسر العالمة والنبيلة.

رابعا: المقررات العلمية والتصانيف

كانت المقررات العلمية المتداولة: كتب التفسير والسنة، واشتهر من التفاسير كتاب "أضواء البيان" للعالم الشنقيطي محمد الأمين الجكني، وقد حاز هذا التفسير شهرة كبيرة في البلاد الإسلامية عمومًا والبلاد السعودية خصوصًا، تعادل شهرة الموطأ، الذي هو من كتب المذهب المالكي، وهو أمر مفهوم لكونه المذهب السائد في البلاد الشنقيطية التي قدم منها المجاورون الذين هم على شرطنا في هذا العرض، ومصنفات كبار العلماء كمؤلفات ابن تيمية والمحلى لابن حزم،... وتعكس تلك المتون المختلفة المنزع والمنهج طبيعة تعدد المدارس تبعًا لتنوع المجموعة البشرية القادمة من مختلف جهات دار الإسلام.

ولا تختلف الكتب المقررة كثيرا عن تلك السائدة في ربوع الدولة السعودية الأخرى(٦٤)، لكن الشناقطة تميزوا أساسًا بمعارفهم وبخصوصية الحفظ، واستظهار المتون، وهي المنهج العلمي السائد لدى العلماء الشناقطة ساعدهم على تبوء مكانتهم في الجزيرة عموما والحجاز خصوصا.

خامسا: المناظرة العلمية

كانت تجري في ظل الملك عبدالعزيز والملك سعود مناظرات بين العلماء الشناقطة والحجازيين والنجديين، تنتهي في الغالب بالتعارف بين الطرفين، بل والإفادة من بعضهما البعض. ومن أشهر تلك المناظرات تلك التي وقعت بين العالم الشنقيطي محمد عبدالله بن

---

(٦٤) حصة بنت جمعان الهلالي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٤٠-١٣٠٩هـ/١٨٢٤-١٨٩١م)، دارة الملك عبدالعزيز، سلسلة الرسائل الجامعية، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ص ٣٩٨-٣٩٩.

زيدان بن غالي البُصَادِي الشنقيطي وعالم نجدي نحرير بشأن مفهوم المجاز لغة واصطلاحا وعلاقة ذلك بتأويل الصفات وغيرها من المباحث.

وكذا المناظرة الشهيرة بين ابن بليهد ومحمد حبيب الله الجكني، وأمثلتها كثيرة وأشهر من أن نقف عندها.

استنتاجات:

١ - كان عدد العلماء الشناقطة مأخوذًا في الحسبان أيام الملك سعود وقبله في أيام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. وتدل الشواهد والمعطيات التاريخية على أن الحضور الشنقيطي ومساهمته في الحياة الثقافية للمجاورين كان مهمًا بل مشهودًا في عهد الملك سعود ووالده الملك عبدالعزيز، ثم تطور بعدهما في العهود الموالية.

٢ - يرجع السبب التاريخي في ذلك التطور إلى الأمن والاستقرار اللذين عرفتهما جزيرة العرب في ظل الحكم السعودي، ثم إلى ميّزة التركيز في تحسين وضع المجاورين والعناية بالمشاعر المقدسة التي كانت من أركان سياسة الملك سعود.

٣ - تراوح إسهام الشناقطة في عهد الملك سعود بين الحضور المباشر في الحركة العلمية في الرياض والمناطق الشرقية كحال محمد الامين الشنقيطي صاحب تفسير أضواء البيان، واقتصار الجهد العلمي على بلاد الحجاز.

٤ - لم تكن هناك حواجز بين العلماء الشناقطة وأضرابهم من علماء الجزيرة عموما والحجاز خصوصا رغم اختلاف المذهب أو المنهج العلمي.